

الخبيس 01-11-2007

62- نجيب محفوظ: قراءة في أحلام فترة النقاة

نص الحلم (4)

بهو متزامى الأركان متعدد الأبواب خال من كل شئ فوق
ثلاثنا في ركن مكنون، صاحبا يرفلان في كامل حليتهما حتى
رباط العنق على حين اكتفيت أنا بالجلباب المغربي ودون شعور
بأى حرج لشدة الألفة التي تجمعنا، سمعت حركة، نظرت فرأيت
رجلا لا أدري من أين جاء في ملابس رسمية توحى بأنه ممن يشرفون
على الحفلات تلفتت في جلبابي وقلت لصاحبي:

أخاف أن تقام حفلة!

فقالا بالتتابع

لا أظن

لا أهمية لذلك.

وجدت حركة أخرى فنظرت فرأيت رجلين مائلين للأول قد
انضما إليه فزال كل شك وهربت إلى أقرب باب وفتحته وكأني
(ولكن؟) وجدت وراءه سداً من جدار البهو فكررت المحاولة مع
الأبواب جميعا وخاب مسعأى كالمرة الأولى رجعت إلى صاحبي
واندست بينهما كأنما أستتر بهما.

وطمأننى بعض الشئ أن الرجال الثلاثة لم يعبرونا أى
التفات

وتتابعت الحركات واهمر سيل من المدعويين من كافة
النواحي.

وأخذوا يملأون المكان دون أن ينظر نحونا أحد مركزين
أبصارهم في ناحية واحدة فلم نملك إلا أن نفعل فعلهم وبدأ
فجأة شخص جليل في هيئة الزعامة فتعالت قعقات الهتاف.
وكلما تقدم الرجل خطوة اشتد الهتاف ولكنهم حذروه في الوقت
نفسه من السير نحو الباب الذى بدأ أنه يقصده وقلت لصاحبي:

سيفتح الباب عن سد لا منفذ فيه.

وتقدم الزعيم وسط هتاف متماعد وتحذير مستمر حتى فتح
الباب ودخل محتفيا عن الأنظار.

القراءة

صعبٌ هذا الخلم

(أحسن)

لا أريد أن أقرأه ناقدا

(من حقه)

من يقرؤه إذن

(أنت مالك - دعه يصل إلى أصحابه بدون نقد).

لكن محفوظ لم يكن ليوافق على ذلك:

على أن تهمل أعماله تحت زعم أنها عصية على النقد.

لا يجيى النص إلا النقد، حتى لو لم يصب هدفه.

بعد هذا الحوار الداخلى، عدت اقلب الصفحات اتمسح أغلب الأحلام، وقررت أنه ليس لزاما على أن أنقدها جميعها

عاد الحوار يحتج

(ولماذا التعميم ، ولماذا القرارات المسبقة أصلا؟) .

القراءة

أشرت في قراءة **تي للحلم "3"** كيف انتهى "بثلاثهم" وهم ينظرون "وقد غلبهم والحزن والصمت"

هنا نقابل أيضا: ثلاثة، وثلاثة، (ليسو هم بداهة، أو قد يكونون هم!) ومجهور غفير، وحركات ذات إيقاع!

الثلاثة الأول: ينتمون إلى الناس

والثلاثة الآخرون: ينظمون الحفل الغامض صاحبه ومناسبته معا

المسرح:

بهو مترامي الأركان متعدد الأبواب

موقع الثلاثة الأول: ركن مكنون

لماذا؟

أليسوا من المدعويين؟ أليسوا من أهل الدار؟ هل هو ركن الفرجة أم الانتظار؟

الملابس: اثنان من هؤلاء الثلاثة في كامل حليتهما حتى رباط العنق، أما الراوى فهو يكتفى بالجلباب المغربى (ولا يخرج من لباسه لشده الألفة التى تجمعهم مع صاحبيه).

الحركة:

الحركات تنبثق على المسرح، وكأنها تتخلق فيه،

حتى حركة الزعيم نرى نهايتها لكننا لا نرى بدايتها.

الحركة الأولى: "سمعت" حركة: (الحركة عادة تُرى أكثر مما تسمع!) "ويظهر رجل"؟؟ (المشرف على تنظيم الحفل فى ملابسه الرسمية).

الحركة الثانية: "وجدت" حركة: (الحركة لم تسمع ولم ترَ هنا، لكنها "توجد")، رجلان انضما إلى الرجل الأول مساعداه، ربما.

الحركة الثالثة: الراوى يهرب إلى أقرب باب.

الحركة الرابعة: الراوى يرجع إلى صاحبيه بعد فشل محاولة الهرب ليندس فيهما، يكتئب بينهما / يستتر بهما (منَ ماذا؟)

الحركة الخامسة: يظهر الشخص الجليل في هيئة الزعامة

الحركة السادسة: يسير الزعيم نحو الباب الذى كان مغلقا، ولكن الباب يثبت أنه ليس كذلك بالنسبة لهذا الزعيم.

الحركة الأخيرة: يمضى الزعيم دون أن يلتفت إلى الجمهور حتى لرد التحية، يمضى نحو الباب المغلق ليفتح له دون غيره ويختفى فيه، وراءه.

التساؤل الأول: لماذا يخاف الراوى أن تقام حفلة؟ هل هو يخجل من اختلاف ملبسه في حفل يبدو أن الدخول فيه بالملابس الرسمية؟ لكنه وجد هو وصاحبيه قبل أن يكون ثم حفل أصلا؟ ثم ما دلالة ملبسه المغربية الفضفاضة؟ هل هى الهويّة الخاصة يتمسك بها ولا يخجل منها، أم التخلف أم البدائية أم ماذا؟

وهل اختلاف الملبس هذا كاف أن يبرر هرب الراوى فور تيقنه من أن الحفل الذى كان يخشى أن يقام هو سيقام فعلا في البهو المتزامى الأركان؟

ثم بدا لى أنه هرب الخائف لا الراض ولا الساخط، هرب مذعور بلا مبرر.

ثم يتبين لنا أن الحفل لزعيم لا يبالى بأتباعه المدعويين الذين توافدوا تباعا- وهم الذين يبدو أنهم كانوا في انتظاره منقذا أو قائدا ، المهم أنه "الزعيم المنتظر"، هل هو المهدي المنتظر أم المسيح الدجال؟ (عامّة الشعب) خاصة مع جوعهم إلى الساحر المنقذ القادم يهتفون لأملهم الذى تحقق دون أن تتاح لهم فرصة أن يجتروه ؟

لكن الزعيم (أو من هو في هيئة الزعامة) منفصل عنهم ، لا يشعر بهم أصلا فيمضى - بما في رأسه مما لا نعرف- إلى هدفه الجهول، فتفتح له الأبواب الموصدة، التى تفصله أيضا عن الناس.

تحذير الجماهير له ألا يمضى إلى طريق مسدود لم يصلنى على أنه حرص عليه أن يصاب بالإحباط مثل الراوى، ولكنه بدا لى نوعا من محاولة استبقائه بينهم ، ربما: حتى يتيقنوا من ظهوره واقعا ماثلا، أو يتحققوا من دوره ، هل هو المنقذ المنتظرا أم المسيح الدجال؟

لم نلاحظ في الخلم استجابة الزعيم للهدف، ولا تجاوبه مع الأبصار الشاحصة، ولا احترامه لتحذير الجماهير حتى لو كان ذلك رغبة منهم في استبقائه لما سبق ذكره، الزعيم يمضى في طريقه دون الناس،

ليختفى عن الأنظار قبل أن يقام حتى الحفل.
حضرتني صورتان وأنا أتأمل هذا الاختفاء

صورة باب الهرب إلى سلم الحريق (كما في الفنادق المؤمنة)
من الباب الخلفي، وهي تستعمل ليس فقد عند الحريق، وإنما
عند الإنذار به أو توقعه،

أما الصورة الأخرى فقد حضرتني بالمصادفة البحتة، وهي
صورة هرب "هرمان هسه" وهو يصعد إلى القطار الذي رسمه
على حائط سجنه، تاركا الحراس وراءه وهو يختفى في القطار مع
الصورة في النفق المظلم، ليترك الحراس "واقفين تغمرهم حيرة
كبيرة"!

خيل إلى أن اختفاء الرجل "في هيئة الزعامة" يحمل
المعنيين معاً، فهو هرب من حريق محتمل، حتى دون أن يحدث فعلاً،
وهو في نفس الوقت هرب إلى حلم في ذهنه بديلاً عن واقع لم يخبره
بما هو، وهذا غير هرب هسه من واقع اعتبره أقل واقعية من
واقعه الإبداعي الذي يخلقه بنفسه.

.....

ثم إننا لم نعرف حتى انتهاء الحلم شيئاً كافياً عن تفاعل
الجمهير (المدعويين) إزاء سلوك هذا الذي هو "في هيئة
الزعامة"، والذي لم يظهر إلا ليختفى، حتى دون أن ينتبه
لقعقات هتافهم..

هل سنظل وقوفاً ننتظر الزعيم التالي؟

ومن يضمن أنه سوف يكون زعيماً حقيقياً، وليس فقط "في
هيئة الزعامة"؟

وترك لنا محفوظ الحلم الإبداع مفتوحاً، لنقرر نحن ماذا
نفعل؟

هل سيخلع الراوي لباسه المغربي الفضفاض، ليرتدى الملابس
الرسمية، ويختنق برباط العنق؟ فلا يخشى إقامة أي حفل، أيا
كانت طبيعته أو دوافعه، أو صاحبه، ما دام ارتدى ما
يرتديه الآخرون المتلزمون بالملابس الرسمية؟

هل سيجمع منظمو الحفل مناظهم وكراسيهم وزينتهم بعد
أن انتهى الحفل قبل أن يقام؟

هل ستفتح الأبواب المغلقة في وجوه عامة الناس، أم ستظل
مغلقة دونهم ولا يسمح لعبورها، أو الهرب منها، إلا للزعماء
الذين قد يثبت أنهم ليسوا إلا "في هيئة الزعامة"؟